



شرح

كتاب التوحيد

لصاحب الفضيلة الشيخ:

د. عبد المحسن محمد الفهمي
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يقوم عليها مجموعة من طلاب الشيخ

قناة التيليجرام

فوائد علمية للاشتراك اضغط هنا

بَابُ

مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ؛ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وَقَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^١
الآية .

فِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» .

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ» .

الشرح¹:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ؛ فَقَدْ آذَى اللَّهَ) ، (بَابُ مَنْ سَبَّ

الدَّهْرَ) ، المراد بالدهر: الزمان ، ويقاس عليه غيره مثل لو قال : هذا يوم أسود لذم الدهر ،

(فَقَدْ آذَى اللَّهَ) الخلق لن يستطيعوا أن يضروا الله ، قال سبحانه: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران:

176] ، وقد يؤذي الخلق الرب وهم لا يقدرون على أذيته ، وإنما سب مخلوقات الله أذية لله ، وكذلك

صرف العبادة لغير الله أذية لله ، قال عليه الصلاة والسلام: («قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ...») ،

وفي الحديث الآخر: «لَيْسَ أَحَدٌ ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى آذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ لِيَدْعُونَ لَهُ

وَلَدًا ، وَإِنَّهُ لِيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»² وعندنا أمران :

الأمر الأول : وصف الدهر ، وهذا جائز ، قال سبحانه: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ [القمر: 19] فوصف الله عز

وجل ذلك اليوم بأنه نحس ، وقال سبحانه: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [فصلت: 16] ، ومثل لو قال شخص :

هذا ليل طويل ، أو ليل قصير ، أو قال - اخباراً - هذا يوم حار ، أو هذا يوم عصيب ، أو شديد ،

وهكذا .

¹ درس يوم الاثنين ١٤٣٩/١/١٩ هـ.

² رواه البخاري: (٦٠٩٩) .

والقسم الثاني : أن يسب الدهر مثل أن يقول : يا خيبة الدهر ، أو الزمن الذي عشنا فيه لم نجد فيه خيراً ، أو يا نهار أسود ، تشكياً من النهار وما في حكم الزمن حكمه مثله ، كسب الطبيعة مثل لو قال شخص : هذه طبيعة جافة ، أو الطبيعة أخرجت لنا أشجاراً جميلة وهكذا .

وهذه الألفاظ قائلها ينقسم إلى قسمين : إن كان يعتقد أن الدهر ، أو الطبيعة تدبر الكون فهو كفر - والعياذ بالله - ، وإذا كان يعتقد أن الذي يدير الكون هو الله ، ولكنه سب ذلك الدهر وما فيه فهذا مسبة لله عز وجل ، قال ابن القيم رحمه الله : وهو متضمن للشرك . لأن سبه للدهر يترتب عليه مفسد عديدة :

المفسدة الاولى : تضمينه ، فكأنه يعتقد أن الله عز وجل والدهر اشتركا في أذيتنا .
 والمفسدة الثانية : أن سب الدهر تعدد على الدهر ؛ لأنه مخلوق زلم يصنع شيئاً فهو مثلك .
 والأمر الثالث : أن الذي يدير الكون هو الله .
 والمصنف أيضاً ذكر ثلاثة نصوص

النص الأول : لبيان أن سب الدهر من عادة الكفار . ﴿ **وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** ﴾

النص الثاني : لبيان أن سب الدهر يؤذي الله .

النص الثالث : لبيان العلة في أذية ذلك لله ؛ لأن الله هو الدهر أي : مدير الدهر .

والمصنف رحمه الله ساق هذا الباب في كتاب التوحيد لأن القائل إما ملحد والعياذ بالله ، أو يسب الدهر ففيه نقص للتوحيد .

قال : (وَقَوْلُ اللَّهِ : ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾) أي : هذا يموت وهذا يحيا ،

والذي يفعل بنا ذلك هو الدهر ، ﴿ **وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** ﴾) فدل على أن الكفار يتشاءمون من

الدنيا ، وينسبون ذلك الشؤم إلى الدهر ، وهو الزمن ، مثل لو قال شخص : لم نستفد من هذه الدنيا إلا النكد ، أو أتى لنا هذا الزمن بالفتن والنكد ونحو ذلك سباً له .

قال : (فِي الصَّحِيحِ) أي : صحيح البخاري ، (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **قَالَ**

اللَّهُ تَعَالَى : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ) يدل على أن الله عز وجل يتأذى من ذلك الفعل القبيح ، (**يَسْبُ**

الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) وفي لفظ : (بيدي الامر اقلب الليل والنهار) والمسلم لا

يسعى إلى أذية الخالق سبحانه ، وإنما يتقرب إليه بالطاعات ، والله عز وجل غني عن عباده .

قال : (وَفِي رِوَايَةٍ أَي : فِي رِوَايَةِ مُسْلِمَ : «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ») أَي : فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُدَبِّرُ الدَّهْرِ .

وليس من أسماء الله الدهر ؛ لأنه لو من أسماء الله لكانت مقالة الكفار صحيحة — ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ - أَي : عَلَى قَوْلِهِمْ : وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا اللَّهُ ، فَالدَّهْرُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الدَّهْرَ مِنْ فِتْنٍ ، وَسَعَادَةٍ ، وَشِقَاءٍ ، وَحَرٍّ ، وَشِتَاءٍ ، وَهَكَذَا .